سلسلة مطويات شبكة بينونة

فضل الدعاء وآدابه

الشيخ
علي بن سلمان الحمادي

@baynoonanet @baynoonanetUAE
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن نبينا محمدًا عبدُ الله ورسوله، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الدعاءَ شأنُه عظيمٌ عندَ اللهِ تعالى، قال نبينا ﷺ: «أَفضَلُ العِبادةِ هو الدُّعاءُ» [رواهُ الحاكِمُ]، فهو مِن أفضَلِ القُرُباتِ، وأعظمِ الطّاعاتِ، وقد رغّبَ ﷻ به فقال في محكم التنزيل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦]، فالله قريبٌ مِن عبادِهِ المؤمِنِينَ، يُجيبُ دُعاءَهم، ويُحقِّقُ رَجاءَهم، ويُعطِي سائِلَهم.

وأخبرَ نبيُّنا ﷺ أنَّ الدعاءَ لُبُّ العِبادَةِ ورُوحُها، ففي مسندِ الإمامِ أحمدَ وغيرِهِ قالَ ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثمَّ تلا قولَه تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: يستكبرون عن دُعائِي وتوحِيدِي، قالَ: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، أي: صاغِرِينَ حَقِيرِينَ باستكبارِهم على اللهِ تعالى.

وتركُ الدعاءِ استكباراً وعُزوفًا عن التَّذلُّلِ بينَ يديه مآله غضبُ الله تعالى، قال نبيُّنا ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» [رواهُ البُخارِيُّ في الأدبِ المُفرَدِ].

قال عُمرُ بن الْخطابِ رضي الله عنه: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ وَلَكِن هَمَّ الدُّعَاء، فَإِذا أُلهِمتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الإِجَابَة مَعَه»، وهذا من كمال يقينه رضي الله عنه، وحُسنِ ظنِّه وتوَكُّلِه بالله ﷻ.

والمُسلمُ؛ كُلَّما عَظُمَت معرفتُهُ باللهِ تعالى، وقَوِيَت صِلتُه بهِ؛ كان دُعاؤُهُ لَهُ أَعظمَ، وانكِسارُهُ بينَ يَدَيْ ربِّهِ أَشَدَّ، ولهذا أَثْنَى اللهُ على أنبِيَائِه ورُسُلِهِ لَمَّا كانُوا أَعظَمَ النَّاسِ تَحقِيقاً للدُّعاءِ، قالَ ﷻ في سِياقِ الثَّناءِ عَلَيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فكانُوا مَعَ عُلوِّ شأنِهم يَسألُونَ اللهَ تعالى بتَضَرُّعٍ وخُشوعٍ، وتَذلُّلٍ وخُضُوعٍ؛ لِكَمالِ مَعرِفَتِهم باللهِ تَعالى، ولِعلمِهم بأنَّهُ ﷻ يُحِبّ مَن يَلجَأُ إليهِ، ويَنكَسِرُ بينَ يَديهِ.

آداب الدعاء

إنّ المتأمِّلَ في نُصوصِ الكتابِ والسُّنّة يَلحَظُ أَنَّ للدعاءِ آدابًا وأحوالًا إذا اقترنت به؛ كان ذلك مظنةُ الإجابة، فمن ذلك:

♦ **أولاً: الإخلاص لله تعالى**

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

♦ **ثانيًا: استقبال القبلة**

قال ابن مسعود ﷺ: «اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ» [رواه البخاري].

♦ **ثالثًا: رفعُ اليدين**

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُم ﷻ حَيِيٌّ كريمٌ، يَسْتَحِي من عبدِهِ إذا رَفَعَ يَديهِ أَنْ يَرُدَّهما صِفْراً خائِبَتَينِ» [رواهُ التِّرمِذِيُّ].

ومعنى صِفرًا، أي: فارغتين خاليتين من الرحمة.

قال النووي ﷺ: وقد ثبتت أحاديثُ كثيرةٌ في الصحيحين

وفي أحدهما أنّ النبي ﷺ رفعَ يديه في الدُّعاء، وهي قريبٌ من ثلاثين حديثًا ا.هـ [المجموع شرح المهذب].

وثبتَ عنه ﷺ في هيئة رفع اليدين أنه كان يرفع «يديه قِبَل وجهه، لا يُجاوز بهما رأسه» [رواه أبو داود]، يعني: لا يرفع يديه إلا بمحاذاة وجهه ورأسه، ولا يرفعهما فوق رأسه [المفاتيح في شرح المصابيح].

♦ رابعًا: الثناء على الله والصلاة على رسوله ﷺ

قال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ» [رواه أبو داود].

♦ خامسًا: الإلحاح في الدعاء وعدم استعجال الإجابة

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا» [رواه مسلم].

ومَهما أَلحَّ العَبدُ في الدُّعاءِ فلا يَستَبطِعِ الإِجابةَ، ولا يَترُكِ الدُّعاءَ؛ قال ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» [رواه البخاري].

فإنَّ اللهَ تعالَى قد يُؤَخِّرُ الإجابَةَ لِحكمَةٍ بَالغَةٍ، فعَن أَبي سَعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِن مُسلِمٍ يَدعُو، ليسَ بإثمٍ ولا بِقَطيعَةِ رَحِمٍ إلاَّ أَعْطاهُ إحْدَى ثلاثٍ: إمَّا أنْ يُعجِّل لهُ دَعْوتَهُ، وإمّا أنْ يَدّخِرَها لهُ في الآخِرةِ، وإمَّا أنْ يَدفَعَ عنهُ مِنَ السُّوءِ مِثلَها» فقالَ رجلٌ مِنَ القَوْمِ: إذاً نُكْثِرُ -يعني: مِن الدُّعاء-، فقالَ ﷺ: «اللهُ أكثَرُ» [رواهُ البُخارِيُّ في الأدبِ المُفرَدِ وأحمدُ]، يعني: أكثرُ إجابةً من دُعائِكم.

♦ سادسًا: العزم في الدعاء وإعظامُ الرغبة

قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» [رواه مسلم].

♦ سابعًا: تحرِّي مواطن الإجابة

فإنَّ الله ﷻ خص بعض الأزمنة بمزية إجابة الدعاء فيها: كيومِ عرفة من الأيام، ورمضان من الشهور، ويوم الجمعة من الأسبوع في آخر ساعة منه قبل مغيب الشمس، ووقتُ السَّحرِ وهو وقت نزول الربَّ جلَّ في عُلاه، كل هذه الأوقات من مظانِّ إجابةِ الدعاء.

كذلك خصَّ الله بعض الأمكنة والأحوال: كالدعاء بين الأذان والإقامة، وبعد التشهد الأخير في الصلاة قبل السلام، وعند نزول الغيث، وفي السجود، وعند الدعاءِ بـ «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين»، أو عند الدعاء باسم الله الأعظم «يا ذا الجلال والإكرام»، ودعوةُ الوالدِ لولده، ودعاء الولدِ الصالح لوالديه، والدعاء لأخيك المسلم في ظهر الغيب، ودعاء المسافر، ودعاء المظلوم، ودعاء المضطر، وللصائم دعوة لا تُرد، وعند صياح الديكة ونحوها.

♦ ثامنًا: الرَّغبة وحضورُ القلب. والانكسار والتذلل بين يدي الله تعالى

مِن مظانِّ إجابةِ الدعاء: حُضورُ القَلبِ حَالَ الدُّعاءِ، والانْكِسارُ بَينَ يَدَيِ الرَّبِّ جَلَّ وعَلا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» [رواه الترمذي].

والرغبةُ والرهبةُ من صفات أنبياء الله تعالى حال دعائهم لله تعالى، ولهذا مدحهم الله تعالى بذلك فقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

♦ **تاسعًا: الأكل من الحلال وتركُ الحرام**

قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» [رواه مسلم].

الدعاء توفيق من الله تعالى

الدُّعاءُ أَمرُهُ يَسيرٌ جِداً على كلِّ أَحَدٍ، فهُوَ لا يَتَطَلَّبُ جُهداً عِندَ القِيامِ بِهِ، وقد ذَمَّ النَّبيُّ ﷺ مَن يَعجَزُ عَنِ الدُّعاءِ فقالَ: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَن عجَزَ عنِ الدّعاءِ» [رواهُ البُخارِيُّ في الأدبِ المُفرَدِ].

فأَشَدُّ النَّاسِ عَجْزاً وكَسَلاً مَنْ عَجَزَ عَنِ الدّعاءِ، ومَن عَجَزَ عَنِ الدَّعاءِ -مَعَ يُسرِهِ وسُهُولَتِهِ- فهُو لِمَا سِواهُ أَعجَزُ، وهو مِن عَلاماتِ ضعفِ الإيمانِ.

فاللهُمَّ أَلهِمْنا حُسْنَ الدُّعاءِ، وارزُقْنا حُسْنَ الإجابَةِ، وارزُقنا الإخلاصَ في القَولِ والعَمَلِ.